من أعلام الحركة الوطنية الجزائرية

* أبو الحركة الوطنية: الأمير خالد بن الهاشمي

ترددت في الآونة الأخيرة عبارة مصالي الحاج أبو الحركة الوطنية، وهي مغالطة تاريخية يراد منها ترويج التحريف والتزييف في التاريخ، ذلك أن الأب الحقيقي للحركة الوطنية الجزائرية حسب الوثائق هو الأمير خالد، وأن مصالي الحاج ما هو إلا رائد وزعيم بارز في الاتجاه الاستقلالي أو الثوري للحركة الوطنية.

هو خالد بن الهاشمي بن لأمير عبد القادر بن محيي الدين الحسيني، ولد بدمشق محل منفى العائلة في 20 فيفري 1875، نشأ وترعرع في حجر جده الأمير عبد القادر؛ في بيت العلم والإيمان، أين تلقى تعليمه الابتدائي وتثق على أيدي بعض الكرام من شيوخ دمشق، حيث تردد على مدارسها ومعاهدها ومساجدها العريقة، وما غن اشتد ساعده حتى قرر والده الأمير الهاشمي العودة إلى الجزائر سنة 1892، وبمجرد الاستقرار بالعاصمة؛ حتى أرسل الأمير الهاشمي ابنه خالد إلى أشهر ثانوية بباريس، وهي ثانوية لويس الكبير التي استقطبت أبناء الأمراء والأعيان، ثم ما لبث أن التحق بالكلية الحربية **'سان سير'** في السنة الوالية (1893)، حيث تخرج منها برتبة ملازم سنة 1897، وأمام رفضه الجنسية الفرنسية التحق بجيش الأهالي (فرقة السبايس أو الصبايحية)، وشارك في حرب المغرب وأظهر مقدرة قتالية فائقة إلى جانب الأمير عبد المالك، وانحاز إلى السلطان عبد العزيز لهذا أبعدته السلطات العسكرية عن المغرب(اتهمته فرنسا بموالاة عمه عبد المالك في المغرب، وإلى سلطان المغرب مولاي عبد العزيز ضد مولاي عبد الحفيظ المنافس لأخيه السلطان المذكور) . بعدها رقي غلى رتبة نقيب سنة 1908، وهي أعلى رتبة في الجيش للجزائريين. لما تجددت قضية المغرب سنة 1910 أبعد الأمير عنها، فغضب وقدم استقالته من الجيش ثم عاد إلى الحياة العسكرية سنة 1911 بعد عدوله عن استقالته؛ كما حصل على اجازة يقضيها بدمشق، وعندما عاد إلى كتيبته سنة 1913 انتقل معها إلى المغرب، فعادت المشكلة للظهور من جديد فطلب الأمير من حكومة باريس الإعفاء من الخدمة العسكرية وتسريحه، وفي 15 جوان قبلت الاستقالة ولكن على شكل اجازة مفتوحة لمدة ثلاث سنوات، ومنح وسام جوقة الشرق. وخلال هذه الفترة تعرف الأمير خالد على حركة الشباب الجزائري.

تفرع الأمير خالد إلى العمل السياسي، ليظهر كرهه العميق للاستعمار وخصومته الدفينة للمحتلين في إطار نشاطه ضمن حركة الجزائر الفتاة، التي ظهرت على مسرح الأحداث السياسية بالجزائر في بداية القرن العشرين؛ على أيدي الشبان المتخرجين من المدارس الفرنسية، والذين يعتقدون بجدوى الاندماج والمساواة بالفرنسيين مع فتح المجال أمام المسلمين الجزائريين للمشاركة في انتخابات المجالس المحلية، والدخول في أجهزة الإدارة كموظفين...وفي أواخر سنة 1913

قام الأمير خالد بجولة في باريس ليشرح إلى الرأي العام الفرنسي الظروف السياسية والاجتماعية التي يعيشها المسلمون في الجزائر، ويطرح من خلال محاضراته برنامج حركة الجزائر الفتاة، ويطالب بإدخال إصلاحات سياسية على نظام الحكم في الجزائر.

عندما تسلم منصب مسؤول الإعلام فيها، قام بدور ايجابي حيث بادر يوم 02 أفريل 1914 بتأسيس **الاتحاد الفرنسي الأنديجيني l'union Franco-indigène**، الذي كان القصد منه إقامة تعاون بين العرب وفرنسا؛ ليطالب بالبرنامج التالي: * استخدام اليد العاملة في فرنسا * رفع الضغط الذي يمارسه النظام عن المواطنين * إجراء تمثيل نزيه وصحيح للمواطنين. سار الأمير خالد على نفس النهج الذي كانت تتبعه حركة الشبان الجزائريين، فطال بالتعليم للمسلمين وتمثيلهم في المجالس المحلية وفي البرلمان الفرنسي، وإلغاء القوانين الاستثنائية التي كانت تطبق على المسلمين فقط، وطالب كذلك بحماية العمال الجزائريين بفرنسا. لكن نشوب الحرب العالمية الأولى أوقف هذا النشاط، وأسرع النقيب خالد للتطوع على رأس كوكبة من الصبايحية للدفاع عن فرنسا، وأظهر في هذه الحرب على الجبهة البلجيكية مقدرة قتالية فائقة وأحرز انتصارات باهرة؛ ما أثار غي بعض الضباط الفرنسيين، فأبعد الأمير عن جبهة القتال نهاية 1916 بعد أن أمضى بها 18 شهرا، وهذا بسبب مرضه بالسل أو القلب كما تدعي المصالح الطبية العسكرية، وبقي بالجزائر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى تحت الرقابة المشددة للإدارة الفرنسية، حيث كانت تتابع حركاته وسكناته واتصالاته بحركة الجزائر الفتاة؛وببعض الشخصيات كالنائب الاشتراكي الفرنسي **ماريوس موتيه**. ومع أنه كان يتعاون مع حركة الشبان الجزائريين، فإنه ابتعد عن هذه الجماعة بعض الشيء؛ بعد أن أصبح يطالب بعد استقراره في الجزائر العاصمة بالحقوق السياسية لأبناء البلد الأصليين، حيث قام الأمير خالد بخطوة جريئة في عام 1917، وذلك حين شارك مع إخوانه التونسيين في **مؤتمر رابطة حقوق الإنسان** بباريس، وطالب بأن يكون للجزائريين تمثيل في البرلمان الفرنسي وفي مجلس الشيوخ؛ وذلك بدون تخلي الجزائريين عن هويتهم العربية الإسلامية.كما كانت له اتصالات مع الحاشية المحيطة بالرئيس الأمريكي(وودرو ويلسون)، ليتمكن من الإيحاء له بتطبيق مبادئه منها حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، وبالتالي استعادة الجزائر لاستقلالها.

ظهرت وطنية الأمير خالد بقوة وبصفة ملموسة حين قام بتشكيل وفد جزائري يتكون من الأمير وأربعة من زملائه يحمل عريضة مطالب إلى مؤتمر السلام بفرساي -مؤتمر الصلح- ؛ حيث توجه إلى باريس في شهر ماي 1919 ، ونجح الأمير خالد يوم 19ماي 1919 في تسليم وثيقة ممضاة من طرفه إلى الرئيس الأمريكي ويلسون بواسطة أحد المرافقين للرئيس الأمريكي وهو جورج-ب- نوبل، وتتضمن الرسالة مطالب الوفد الذي كان متواجدا مع الأمير في باريس، التي يطالب فيها: بمنح الجزائر حقها في تقرير مصيرها بنفسها، ويعد هذا المطلب الشرعي؛ مطلب استقلالي بارز

في مطلع القرن 20م. هذا الموقف جعل المسؤولين الأوربيين في الجزائر يشعرون بالخوف من الأمير، لأنه هو الذي حاول أن يبعث روح الوطنية، وأن يقلد الوطنيين الهنود الذين جاءوا مؤتمر السلام للمطالبة باستقلال الهند، عندما طالب هو الآخر باستقلال الجزائر. بعد هذا النشاط السياسي الفعال؛ أحيل الأمير خالد على التقاعد من الخدمة العسكرية في نوفمبر 1919، ليتفرغ نهائيا للعمل السياسي، حيث بدأ حركته السياسية أواخر هذه السنة عند انفصاله عن النخبة، لقد طالب وأنصاره بتطبيق سياسة الإدماج مع الاحتفاظ بالأحوال الشخصية الإسلامية، ليخوض غمار الانتخابات البلدية والوفود المالية والمجالس الاستشارية في إطار ما يعرف بإصلاحات (كليمنصو 04 فيفري 1919)، داخل جماعة النخبة التي انقسمت حول قضية الاندماج أثناء الانتخابات البلدية في العاصمة 1919 ، وكان الزعيمان المتنافسان هما الدكتور ابن التهامي الذي كان رأس الاندماجيين والأمير خالد الذي كان على رأس المنادين بالمساواة داخل الأحوال الشخصية للجزائريين. انتهت بانتصار الأمير خالد؛ كما فاز في الانتخابات التي جرت في أفريل – جوان 1920 للحصول على مقعد في المجلس المالي. انتصرت قائمة الأمير خالد انتصارا ساحقا على قائمة الإدارة الاستعمارية في انتخابات المستشارين العامين جانفي 1921، فبدأت مضايقة الأمير الذي اضطر في الأخير إلى تقديم استقالته يوم 02 ماي 1921، لأنه رأى أن وجوده في هذه المجالس دون فائدة. أثرت الانتصارات الساحقة للأمير حفيظة الإدارة الاستعمارية التي وصفته **بالأمير المزعوم، ورئس البشيوخ ذوي العمائم، وبطل المسلمين المحافظين**، وكانت ترى في نجاحه يقظة مفاجئة للتعصب الإسلامي. ومن هنا يتبين لنا أن الاتجاه الإسلامي الجزائري بدأ بتأسيس داخل الحركة الوطنية نظرا لثقافة الأمير المزدوجة العربية والإسلامية، كما أظهر ميوله اليسارية بزيارته غلى موسكو في سبتمبر 1920 ليطلع على منجزات الثورة البلشفية، ويستوحي منها بعض الأفكار التحررية. وتعتبر جريدة **الإقدام** التي تأسست في 07 مارس 1919 لسان حركة الشبان الجزائريين، والمعبرة عن آراء الأمير خالد، وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية. وقد أطلق مؤرخو الحركة الوطنية على حركة الأمير خالد عدة أسماء، فمنهم من قال أنها: **حركة وطنية إسلامية**، وقد أطلق عليها سعد الله تسمية **الحزب الإصلاحي**، ومنهم من أسماها أيضا **حزب المرابطين والحزب الوطني الديني**، ومنهم من وصفها **بالاتجاه الوطني الإسلامي الاشتراكي**.

قام الأمير خالد وجماعته يوم 23 جانفي 1922 بإنشاء جمعية الأخوة الجزائرية أو حزب الإخاء الجزائري؛ عوضا عن حركة الشبان الجزائريين، واستمرت جريدة الإقدام لسان حال الحزب الجديد. واغتنم الأمير خالد فرصة زيارة الرئيس الفرنسي **ميليران اتيان ألكسندر** إلى الجزائر في ربيع 1922، وخطب أمامه باسم جميع السكان الجزائريين، وطالب باسم التضحيات التي قدمها الجزائريون في الحرب العالمية الأولى بعض الحقوق على غرار الاشتراك في التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي... وقد زعم الكاتب الانجليزي **وورثام** أن برنامج الحزب الإصلاحي كان مستوحى من القرآن ومبنيا الاشتراكية، وقال أن هدف هذا الحزب هو إنهاء الحكم الفرنسي بالجزائر. وعند النظر إلى مطالبه نجده ليس اشتراكيا ولا إسلاميا

وليس انفصاليا، فالحزب لم يزد على أن ينادي بمساواة الجزائريين داخل إطار أحوالهم الشخصية كمسلمين مع الفرنسيين. وتضمن برنامجه: * إدماج الجزائريين بدون شرط* إلغاء السلطات التأديبية لحكام البلديات المختلطة* المساواة أمام القانون* تحقيق التمثيل النيابي للجزائريين غير المتجنسين* مساواة الجزائريين مع الفرنسيين في الألقاب والترقيات والوظائف. حيث أخذ الصراع يشع في أفقه من أجل منح التمثيل النيابي لخمسة ملايين من المسلمين. في المقابل شرعت الصحافة الاستعمارية منذ جانفي 1923 في نشر آراء ومقولات زعماء المسلمين والشخصيات البارزة من أتباع فرنسا. ففي شهر فيفري 1923 ركزت صحافة الدوائر الاستعمارية على اتهام الأمير خالد بالعمالة لموسكو، ولقب **بالأمير الأحمر**. ومن هنا بدأت الحملة الشعواء ضد الأمير من أجل أن يتخلى عن مواقفه أو ينسحب من المجال السياسي، ويتنازل عن حقه في الانتخابات لمصلحة منافسه **عبد النور تامزالي**. حققت الدوائر الاستعمارية هدفها حيث تمكنت من إبعاد الأمير عن المجال السياسي، وألحقت بحركته في الانتخابات الهزيمة، وفي مرحلة لاحقة عمدت إلى الضغط غير المباشر على الأمير لنفيه من الجزائر، حيث كتب الأمير خالد رسالة إلى أحد أصدقائه في 30 جويلية 1923 جاء فيها:(لم يعد في مقدورنا إطلاقا العيش في الجزائر حيث أصبحت الحياة فيها- بالنسبة لي- أمر لا يطاق ولا يحتمل ولم يعد أمامي إلا الانسحاب إلى بلد يتوافر فيه قدر أكبر من الإنسانية). قامت السلطات الفرنسية بنفي زعيم الحركة الوطنية الأمير خالد سنة 1923، حيث اتهمته بأنه كان مرابطا ومتعصبا ومحافظا، وأكدت صحيفة الحزب الشيوعي **'ليمانيتي'** l'humanité أن قرار نفي الأمير قد تم اتخاذه في باريس من طرف رئيس الحكومة **ريمون بوانكاريه**، وقام بتنفيذه الحاكم العام للجزائر **ستيق**.

غادر الأمير خالد الجزائر إلى المشرق العربي ليستقر نهائيا بمصر، غير أن تطورات هامة حدثت على الساحة الفرنسية دفعت الأمير إلى التفكير في استئناف نشاطه السياسي، فقد جاءت انتخابات ماي 1924 بوصول اليسار إلى سدة الحكم حيث تولى **ادوارد هيريو** رئاسة الوزارة، وكان معروفا بتعاطفه مع حركة الجزائر الفتاة، لهذا كانت فرصة أمل وحافزا للأمير في متابعة جهوده السياسية والتوجه إلى فرنسا، حيث استقبله الحزب الشيوعي كمحاولة لاحتضانه والمتاجرة باسمه. حيث أعد الحزب الشيوعي في برنامجه تكليف الأمير خالد بإلقاء محاضرات على أبناء المغرب العربي(عمال شمال إفريقيا)، وقد تميزت بالموضوعية وغزارة المعلومات والحماس وقوة العاطفة. لذلك فقد لعب الأمير دور المحرك في أوساط العمال، حيث اشترك في أول **مؤتمر مغربي** انعقد في باريس 07 ديسمبر 1924، فنشر فكرة إنشاء **جمعية نجم شمال إفريقيا** في منطقة (**لبوش دورون**)، إلا أن الظروف لم تسمح له بمواصلة النشاط إلى أن انبثق النجم صائفة 1926 على يد الرواد في فرنسا بعده وهم: الحاج علي عبد القادر، مصالي الحاج، الجيلالي محمد السعيد...ومن الدلائل على ارتباط أصول النجم بالأمير خالد ما يلي: * تنصيب الأمير خالد رئيسا شرفيا لهذه الجمعية لبعض الوقت * تسمية جريدتيّ دام باريس وإقدام نجم الشمال الإفريقي بإقدام الأمير خالد * تقليدها لشعار الأمير خالد في سنة البعث الأولى. هكذا يمكن القول أن

جمعية نجم شمال إفريقيا هي من بذر الأمير خالد، ترك عناية بعثها وتنميتها لغيره، واكتفى بمراقبتها من بعيد، فاستمرت ولم تتوقف باعتزاله المسرح السياسي.

غادر الأمير خالد فرنسا في بداية خريف 1924 بعد أن شنت عليه حملة جائرة؛ اشترك فيها اليمين واليسار الفرنسي على السواء ما أشعره باليأس. وصل الأمير إلى الإسكندرية ولم يتمكن من تحقيق رغبته في التوجه إلى دمشق، نظرا لمنع السلطات الفرنسية له من اقتحام مناطق نفوذها، ولفقت له تهم عديدة حيث اتهمته بالتعاون مع الخطابي وطالبت بتسليمه، وتدخل الانجليز فسلمته الحكومة المصرية إلى قنصلية فرنسا، حيث حوكم هناك أمام القنصلية الفرنسية أوت 1925 بتهمة الهروب من منفاه إلى أوربا، وحمله جواز سفر مزور، وحكم عليه بالسجن 05 أشهر، ولم يعد بعد ذلك إلى الجزائر. ثم اختفى عن المسرح السياسي، وأسدل الستار عن الأمير خالد حتى وفاته يوم 10 جانفي 1936 بدمشق ودفن هناك، وعندما بلغ خبر وفاته إلى الجزائر قامت جمعية العلماء بنعيه واعتباره شهيدا، وصلى عليه 06 ملايين جزائري صلاة الغائب يوم العيد الكبير، وقد رثاه شاعرنا محمد العيد آل خليفة بقصيدة طويلة.

كان الأمير خالد يرتدي اللباس العربي في كثير من الأحيان أثناء تأدية الخدمة العسكرية بالرغم من أنه ملزم بلباس الزي العسكري الصبايحي، وكان ملتزم الصلاة دائما، وكان يشترط على فرنسا ألا يحارب إخوانه العرب، وكان دائم الاتصال بالشبان الجزائريين، وكان يكره السياسة الفرنسية.

يمثل نشاط الأمير حلقة وصل بين تراث عربي إسلامي ومستجدات الحداثة الأوربية الدخيلة، ومن حيث التقويم يمكن وصف فكر الأمير بالخطاب الجامع بين التراث والنهضة في آن واحد. تذهب بعض الآراء إلى أن الأمير خالد هو الذي راسل مناضلي تونس؛ واقترح عليهم تأسيس الحزب الدستوري. كانت له اتصالات بزعامات مناضلة منها: عبد العزيز الثعالبي، الشيخ إبراهيم اطفيش، وكذلك التقى في تونس بالأمير علي ابن عمه الأمير عبد القادر. من خلال تتبع مواقف الأمير النضالية، تتبين حقيقة وهي بعده الإسلامي الجزائري أولا، وبعده الإسلامي القومي المغاربي ثانيا، وبعده الإسلامي العالمي ثالثا، وبعده الإنساني الاشتراكي رابعا. وعليه فهو زعيم أمة أكثر منه زعيم حزب.

هكذا يتبين أن الأمير هو أبو الحركة الوطنية الحقيقي لأنه يمثل بنشاطه وفكره الاتجاهات الثلاث للحركة الوطنية(الاندماجي والمساواة والاستقلالي والاتجاه الإصلاحي). إذن فمرجعية هذه الاتجاهات السياسية هي حركة الأمير خالد قبل وبعد الحرب العالمية الأولى، وهي الفترة التي جسدت الإرهاصات الأولى للحركة الوطنية بأبعادها الفكرية والسياسية والثقافية، فالأمير نخبوي ويساري وإصلاحي إسلامي.

*الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس(1889-1940)

إن حياة الزعيم المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس حافلة بالأعمال الفكرية والممارسات النضالية، والسلوكات الخلقية واتسع العلاقات الاجتماعية والإنسانية مع أطراف مختلفة اتسمت بالايجابية أحيانا وبالسلبية أحيانا أخرى. فقد أجمع الكثير على اعتباره واحدا من بناة المغرب العربي، ورائدا من رواد العروبة والإسلام في هذه الربوع المغاربية.

ولد الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس يوم 04 ديسمبر 1889 بمدينة قسنطينة، كان الولد البكر لأبويه، وكانت أسرته مشهورة بالعلم والثراء والجاه، تاريخية عريقة في القدم، لها نفوذ سياسي منذ قرون خلت في المغرب الإسلامي. أما أبوه محمد المصطفى كان مندوبا ماليا وعضوا في المجلس الأعلى وباش آغا شرفيا ومستشارا بلديا، أما أمه زهيرة بنت عبد الجليل بن جلول فهي الأخرى من أسرة مشهورة بقسنطينة. الحق أن أسرة ابن باديس قد لعبت دورا فعالا في تربيته وتوجيهه، لا سيما والده محمد بن المصطفى الذي اعتنى به منذ ولادته علميا وخلقيا واجتماعيا، حيث اختار له أحسن المعلمين في قنطينة كالشيخ المداسي والشيخ الونيسي. وإذا كان شقيقه مولود الزبير قد تعلم الفرنسية وأصبح محاميا فإن ابن باديس لم يلتحق بأي مدرسة فرنسية، تزوج في سن الخامسة عشر (1904) ابنة عمه اليامنة بنت عبد الكريم بن باديس، وأنجب منها ولدا أسماه ' عبده إسماعيل' توفي وعمره 17 عاما. كما أن زوجته لم تستمر معه، فقد طلقها عام 1934 عندما طلبت أن تقيم وحدها بعيدا عن أسرة والده، وكان هو يريد أن يبقيها ضمن أفراد العائلة حتى تتوفر لديه الحرية أكثر في الحركة والنشاط، لأنه كان يقضي جل وقته في الدرس والخطابة الكتابة خارج البيت. ظل أبوه يدافع عنه من بطش ألإدارة الاستعمارية حتى وفاته عام 1940، وعاش بعده 11 سنة حتى توفي هو الآخر سنة 1951م. وبذلك استطاع السفر مرات عديدة إلى البلاد العربية، واقتناء الكتب والإنفاق على تلاميذه ومدارسه من صندوق الطلبة، وربما هذا ما جعله يطبق وصية أستاذه **حمدان الونيسي** الذي أوصاه أن يقرأ العلم للعلم. وقد عرف كيف يجمع بين القديم الصالح وتراث وتقاليد عريقة وبين الجديد المتمثل في العلوم والأفكار العصرية في تلاؤم وانسجام كاملين، ولذلك كان من أقدر علماء الجزائر المعاصرة على تحرير العقول من رواسب الماضي، ومن هذا استطاع أن يستقطب عقول وأقلام الكثير من معاصريه ومن التلاميذ والأتباع، وحتى من الباحثين المؤرخين والفلاسفة والأدباء...

تعلمه وأسفاره: أدخله والده أحد الكتاتيب القرآنية وهو في الخامسة من عمره(1894)، فحفظ القرآن على يد الشيخ **المداسي** بإحدى زوايا القادرية بقسنطينة، حيث كانت أسرته من أتباع الطريقة القادرية. ونظير استقامته ولاه شيخه إمامة المصلين في الجامع الكبير وعمره 11 سنة، وفي سنة 1903 شرع في تعلم العلوم الإسلامية والعربية على شيوخ فضلاء منهم الشيخ **حمدان الونيسي** الذي اعتنى به عناية فائقة، ونصحه أن يتفرغ لخدمة العلم ونشره، وأن يبتعد عن الوظيفة لأنها تدفن العبقرية وتقيد الحرية، فلازمة 05 أعوام تحصل فيها على جانب وافر من العلوم والتوجيه الحسن، زوجه والده في سن الخامسة عشر كما ذكرنا آنفا...بعد 04 سنوات (1908) أرسله والده إلى جامع الزيتونة بتونس

لطلب العلوم والمعارف، في تونس تأثر بجماعة الشبان التونسيين في مقدمتهم علي باش حامبة وبشير صفر والشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي كانت له علاقة حميمة بابن باديس...كما تأثر بمختلف التيارات الإصلاحية والنهضوية التي عرفتها الجامعة الزيتونية مطلع القرن 20م، استمر في دروسه وكان محل تقدير من أساتذته وزملائه غلى أن نال شهادة التطويع سنة 1911 بتفوق، ومن أبرز أساتذته في جامع الزيتونة نذكر: محمد النخلي القيرواني(ت.1924)، ومحمد الطاهر بن عاشور (1879-1973)، والشيخ الخضر حسين (1877- 1958)، الشيخ الصادق النيفر، والبشير صفر الذي كان من ألمع المؤرخين والمصلحين التونسيين في القرن 20م ...وغيرهم. عرف ابن باديس أثناء دراسته في الزيتونة بالنشاط، والاطلاع الواسع، واتصالاته ببعض العلماء خارج الزيتونة...ولعله يكون قد حضر بعض المحاضرات التي كانت كانت تنظمها جمعية قدماء الصادقية والخلدونية أيضاولالتي كان يلقيها بعض أساتذته كالشيخ النخلي والشيخ محمد الطاهر بن عاشور..وكانت المسألة العلمية في حياة ابن باديس طاغية عليه، ما جعله مدعاة لإعجاب أساتذته به ..ولما شرع في كتابة أول رسالة علمية في الرد على **(ابن عليوة الصوفي المستغانمي)** بعنوان **'جواب سؤال عن سوء مقال'**، والتي أتمها سنة 1922أي بعد 10 سنوات من تخرجه، بادر أربعة من أساتذته إلى تقريظ هذه الرسالة(وهم الشيخ النخلي، الشيخ الطاهر بن عاشور، والشيخ بلحسن النجار، الشيخ محمد الصادق النيفر) معتزين بنسبته غليهم وتخرجه من تحت أيديهم عالما مقتدرا مربيا كاملا ومحققا جريئا..أخذت معالم شخصيته الفكرية والدينية تتبلور لتبرز شخصية الواثق رمن نفسه، المستقل في التفكير، المقدر للمستقلين من علماء الدين، الناقم على التقليد والمقلدين، لما يتطلبه دينه من التغيير المؤيد للإصلاح والداعين له.

لما أنهى ابن باديس دروسه في جامع الزيتونة؛ وتحصل على شهادة التطويع سنة 1911، انتصب مدرسا بجامع الزيتونة ذاته لمدة سنة كاملة، يعلم صغار التلاميذ على عادة المتخرجين، بعدها قفل راجعا إلى مسقط رأسه قسنطينة محققا حلمه وحلم والديه اللذان ينتظران عودته عالما جليلا، كما حقق حلم أستاذه الشيخ حمدان الونيسي الذي وجهه نحو طلب المعرفة، شعاره في ذلك**(العلم للعلم، وليس العلم للوظيف أو المنصب الإداري)** كما أوصاه شيخه الونيسي...سافر بعدها إلى المشرق عام 1913 لآداء فريضة الحج، وزيارة بعض العلماء هناك، وبعد موسم الحج توجه إلى المدينة المنورة وألقى عدة دروس بالمسجد النبوي؛ أعلن فيها فكرته الإصلاحية، وبقي ثلاثة أشهر التقى خلالها بعدد من العلماء من بينهم الشيخ البشير الإبراهيمي، الشيخ الطيب العقبي، الشيخ حسين أحمد الهندي الذي أخذ عنه دروس وتوجيهات، وحثه على العودة إلى الجزائر لأن الباد في حاجة ماسة إلى مصلحين متنورين وعلماء متضلعين. وهكذا تكونت صلة بين ابن باديس والرفاق والأساتذة الشيوخ، بعدها عاد إلى الجزائر وفي طريقه زار سوريا ولبنان ومصر، والتقى بعدد من علمائها، واتصل بشيخ الأزهر محمد بخيت الذي أجازه بعد أن حضر جانبا من الدروس في الأزهر، ثم عاد إلى قسنطينة.

ابن باديس المعلم المصلح:

لم تكن فكرة التجديد أو الإصلاح فكرة فلسفية مجردة أو نظرية، وإنما كانت تستوحي تعاليمها من الكتاب والسنة،فقد طرح على نفسه سؤالا دقيقا ومددا: لمن أعيش؟ فكان جوابه: أعيش للإسلام والجزائر، من أجل ذلك كان العمل التجديدي للإمام بأوسع معانيه لتجديد أمر دين الأمة الجزائرية المسلمة وإعدادها للجهاد في سبيل الله، حيث نجده يخاطب هذا الشعب(أيها الشعب المسلم الجزائري الكريم، تالله لن تكون مسلما إلا إذا حافظت على الإسلام ولن تحافظ على الإسلام إلا إذا فقهته، ولن تفقهه إلا إذا كان فيك من يفقهك فيه...). لذلك اتفق الشيخ الإبراهيمي مع ابن باديس بالمدينة المنورة أن تكون الطريقة المثلى في تربية النشئ قائمة على أساس التربية على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فكانت منطلقا لمشروع التعليم الذي خطه ابن باديس في الجزائر، عقب عودته بعد أن اتصل بمواقع الفكر الإصلاحي بالمشرق، وشرع في تنفيذ خطته العلمية في مجالي الإصلاح والتربية. ولكن بالرغم من تأثره بمدارس الإصلاح الديني في المشرق؛ فقد استطاع أن يقدم إضافات عملية أكثر منها نظرية...حيث انتصب للتدريس في الجامع الأخضر، وشرع في إلقاء الدروس التي كانت ثورة على البدع والخرافات ونبذ العصبيات الجنسية والمذهبية والحزبية، مما حرك أفكار الناس وعقولهم، ونبه الشعب إلى الحالة التي هو عليه من استعمار وجهل. فكانت هذه الدعوة مزعجة للاستعمار وأعوانه من الطرقيين ورجال الدين الرسميين الذين سعوا إلى عرقلة ابن باديس بإبعاده عن إلقاء الدروس والاتصال بالشعب، وكان هذا بتحريض من مفتي قسنطينة ابن الموهوب، قرر أن يؤدي فريضة الحج، ولما رجع استأنف نشاطه بالجامع الأخضر الذي أصبح مركزا للإصلاح الديني، حيث ثابر ابن باديس على نشاطه التعليمي من عهد 1913 حتى وفاته 1940. ويعد المركز الأول الذي انطلق منه التعليم الإصلاحي المسجدي في الجزائر بعد الجامع الكبير وذلك في شهر فيفري 1913، وكانت دروسه عامة في تفسير القرآن و شرح الحديث والفقه والتاريخ والعلوم العربية والأخلاق متصلة بحلقات من صلاة الفجر إلى منتصف الليل.كان ابن باديس يدرس القرآن لتلاميذه بطريقة حية مثمرة على أساس أنه هداية عامة لجميع البشر، وكان من مميزات تربيته المزج بين النظري والتطبيق وبين الفكر والعمل، وقد عبر عن هذه الحقيقة بقوله:(العلم قبل العمل ومن دخل العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال). وكان أثناء تدريسه يدعو طلابه إلى الإصلاح والنهوض من كبوتهم، وقد أتاحت له إرادته أن يمد نشاطه إلى المدن الجزائرية الأخرى كسطيف، ومنطقة القبائل الكبرى والعاصمة ووهران وتلمسان، والمدن الشرقية الجنوبية من البلاد. وقد ظل ابن باديس مشتغلا بميدان التدريس وبناء جيل جديد مثقف بالثقافة العربية وواع بمجاله الجغرافي، هذا في الوقت الذي اعتقدت فيه إدارة الاحتلال أنها تعتمد على طبقة كثيفة من أتباع الطرق الصوفية والعلماء الرسميين يؤازرونها أمام هذه القوة الوطنية المتنامية، والحق أن والده محمد المصطفى كان الدرع الواقي له من الآلة الاستعمارية؛ حيث كان له مقام محترم، إلى جانب هذا فقد ترأس ابن باديس وتولى إدارة العديد من الجرائد والمجلات، فكان رئيس تحرير جريدة النجاح سنة 1919، ومدير جريدة المنتقد سنة

1925، ومريد صحيفة الشهاب(1925-1939)، ورئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومكلفا بالتحضير للمؤتمر الإسلامي وعضوا بارزا فيه، وفي مقدمة وفد المؤتمر إلى باريس.

وفاته: توفي الشيخ ابن باديس يوم 16 أفريل 1940 بقسنطينة؛ مفضلا ألا يكون أسرة ولا ينجب أطفالا، وإنما أراد أن يكون الجزائريون كلهم أبناءه والعائلات الجزائرية كلها عائلاته، ومات دون أن يترك عقبا ولا زوجة ولا وريثا من نسله عدا أباه وإخوته. و شيعت جنازته في اليوم الموالي وسط جموع غفيرة من سكان المدينة ومختلف أنحاء القطر.إن وفاته كان لها أعمق الأثر في نفوس الجماهير الجزائرية المسلمة، وخاصة في أوساط المصلحين سواء من أنصار الجمعية أو من أتباع العقبي الذي لم يعد من أعضائها منذ شهر سبتمبر 1938. وبعد وفاة ابن باديس زعمت إذاعة **ألمانيا 'هنا'** يوم 09 ماي1940 على لسان تقي الدين الهلالي أن السلطات الفرنسية في الجزائر هي المسؤولة عن وفاته، وقد ذكرت أنه مات مسموما على أيدي الفرنسيين. وجملة القول أن وفاة ابن باديس قد تركت فراغا عميقا في صفوف الحركة الوطنية من جهة وفي أوساط المصلحين المجددين من جهة أخرى، وبين الجماهير الإسلامية التي كانت تنظر إليه ّلى أنه الزعيم المخلص والوطني الغيور على دينه وشعبه.

بعد هذه الدراسة الموجزة لمسيرة رائد النهضة والإصلاح والتجديد في الجزائر، نستخلص النتائج التالية:

* تأثر المجدد ابن باديس بالسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، تأثر بثورية وحركية الأول وبعقلانية ومنهجية الثاني. * إن فكره على الرغم من أصالته المرجعية، فقد كان نتيجة من نتائج ردود فعله على الغزو الأجنبي والتخلف الداخلي معا. * إن ثقافة هذا المفكر المصلح كانت ثقافة عربية إسلامية متطورة.

* في مجال الإصلاح الاجتماعي، حاول ابن باديس أن يقدم حلولا مناسبة لمجتمعه مراعيا في ذلك عنصرين أساسيين في اجتهاده: قيم الإسلام وروح الحضارة الحديثة.* في الإصلاح الديني قام بتصحيح بعض العقائد الإسلامية التي تسربت إليها البدع والخرافات من جراء الطرقية الصوفية المنحرفة. * أما على المستوى السياسي، يمكن القول أن الرجل كان سياسيا بطبعه، وكان من الأوائل الذين عبروا عن الوطنية تعبيرا حديثا. * أما على الصعيد الفكري الفلسفي، فإن المؤسس المجدد كان مثقفا ثقافة موسوعية وفلسفية.

نماذج من آثاره: ترك ابن باديس آثارا تراوحت بين المنقول والمعقول استغرقت حوالي 20سنة، ولكن ابن باديس لم يخلفها في شكل مصنفات، وهي:

* رسالة جواب عن سوء مقال، ردا على شيخ الطريقة العليوية.*كتاب العواصم من القواصم في جزئين لمؤلفه ابن عربي الفقيه المفسر ، حققه وعلق عليه سنة 1925.* العقائد الإسلامية الذي نشره محمد الحسن فضلاء سنة 1984.*

رجال السلف ونساؤه الذي نشره محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد رمضان سنة 1966. * أما باقي الآثار الأخرى فقد انتشرت كلها في شكل مقاولات ومحاضرات وخطب وقصائد شعرية على أعمدة صحافة النجاح وصحيفة المنتقد وصحيفة الشهاب وصحف السنة النبوية والشريعة المحمدية والصراط السوي وجريدة البصائر وغيرها من الصحف الأخرى . إن هذه الآثار جمعت في عدة مصنفات، و منذ 1986 قامت وزارة الشؤون الدينية بمشروع تمثل جمع آثار ابن باديس تقريبا وطبعها ونشرها في 06 أجزاء: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير 1982، مجالس التذكير من حديث البشير النذير سنة 1983، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس في أجزاء... ومعظم هذه المصنفات جمعها الدكتور عمار طالبي، وتتضمن مختلف الحوادث من 1924 حتى سنة 1939. ومن آثاره الأخرى: جريدة المنتقد وصحيفة الشهاب، جريدة ومجلة وجرائد جمعية العلماء التي كان يرأسها حتى وفاته وهي: السنة النبوية، الشريعة المحمدية، الصراط السوي، وجريدة البصائر.

الشيخ عبد الحميد ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931 بالعاصمة، انتخب الشيخ عبد الحميد رئيسا لها. وقد كان هدفها كما بينه رئيسها ابن باديس عام1935: (**القرآن إمامنا والسنة سبيلنا والسلف الصالح قدوتنا في خدمة الإسلام والمسلمين وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا**). . كانت جهودها وأعمالها الحضارية تهدف إلى :

* إحياء الدين الإسلامي وتطهيره من الشوائب التي علقت به خلال القرون الأخيرة.* العمل من أجل بعث وتطوير الثقافة العربية الإسلامية. * السعي لتوحيد أبناء الشعب الجزائري تحت راية العروبة والإسلام. * توعية الشباب الجزائري بالشخصية الجزائرية وتهيئته للنضال في المستقبل.* إقامة جسور للتعاون بين الجزائر وبقية الدول العربية والإسلامية. * الدعوة إلى توحيد العمل المشترك مع أبناء تونس والمغرب.* نشر تعليم عربي مستوحى من الوحدة العربية الإسلامية.

تعتبر حركة جمعية العلماء المسلمين حركة سياسية ذات قاعدة شعبية لا مثيل لها في تاريخ الجزائر.حركة سياسية سياسية ذات رسالة ثقافية وعلمية واجتماعية، تهدف إلى حماية التراث الوطني من الذوبان في الحضارة الأوربية وبعث الروح الوطنية في النفوس عن طريق تعليم الشباب، وخلق الوعي الاجتماعي ومحاربة رجال الدين المزيفين. جاءت في وقت مناسب لتحقيق رغبة شعبية عارمة، وهي البحث عن وسائل لإيقاف الهجمة الاستعمارية الشرسة على المسلمين، والتعاون مع رجال الإصلاح المسلمين في تونس والمغرب ومصر وبقية الدول العربية الإسلامية بقصد بعث الروح الوطنية، وتوحيد الصف لمجابهة الغربيين التحالفين ضد المسلمين. كما أنها أسست بقصد محاربة أصحاب الزوايا لأن الزاوية كانت تعتبر في نظر جمعية العلماء حجر عثرة أمام الحركة الوطنية وجهودها، والطرق الصوفية في رأي جمعية العلماء هي (علة

العلل في الإفساد ومنبع الشرور)، ففي رأي عبد الحميد بن باديس(أن كل ما هو متفش في الأمة من ابتداع في الدين وضلال في العقيدة وجهل بكل شيء وغفلة عن الحياة وإلحاد في الناشئة، فمنشؤه من الطرق ومرجعه إليها).

لقد جاهد وجمعيته ضد الأباطيل والشعوذة والخرافات الجمعية كحركة سياسية تميزت عن غيرها بشخصية عبد الحميد بن باديس الفكرية. تزعم حركة المناهضة لجمعية العلماء ورجال الدين المزيفين أمثال علي بن مبارك عضو المجلس المالي الذي يمثل القليعة؛ حيث اقترح على فرنسا أن تمنع رجال الجمعية من إلقاء خطبهم. انتهى الصراع بين العلماء والطرقيين بخروج الشيخ المولود الحافظي وجماعته من جمعية العلماء المسلمين بعد سنة واحدة؛وتأسيس جمعية أخرى منافسة لجمعية العلماء، أطلق عليها جمعية علماء السنة الجزائريين، لكن هذه الجمعية المنشقة التي أسسه الشيخ الحافظي يوم 15 سبتمبر 1932 تعثرت في شهر نوفمبر 1935.

باختصار فإن عبقرية ابن باديس تتمثل في تحديد برنامج عمله السياسي منذ البداية وهو الدفاع عن اللغة العربية، وبعث نهضة إسلامية، والتمسك بالشخصية الوطنية الجزائرية. ولتحقيق هذه الأهداف المسطرة في برنامجه، قام بتوظيف بعض الطاقات الخلاقة من رجال الإصلاح في الجزائر في الجزائر؛ وتحفيزهم للعمل السياسي والثقافي الهادئ، وذلك في إطار الجرائد التي كان يصلحها ابتدا من سنة 1925. ففي 02 جويلية قرر إصدار جريدة **المنتقد**، وساعده في ذلك السيد أحمد بوشمال بقسنطينة، ومن خلالها بدأ هذا المفكر والجماعة المدعمة له يقومون بنشر آرائهم وتبليغها للسكان حتى يتعرفوا عليها وينضموا إليها، وتفطنت فرنسا إلى الكلام الخطير الذي يهدف إلى إيقاظ ضمائر الجزائريين، فقامت في نوفمبر 1925 بمنع جريدة المنتقد من الظهور بعد صدور 18 عددا منها، وآنذاك قرر عبد الحميد بن باديس تعويضها بجريدة **الشهاب** التي استمرت في الصدور حتى سنة 1939، واستعان بزميله الوفي الذي يتمتع بمقدرة هائلة في الكتابة الشيخ البشير الإبراهيمي(1889-1965) مسؤولا عن نشر جريدة الشهاب(مع العلم أن الإبراهيمي قد تحول إلأى المشرق العربي، وعاش هناك لمدة 10سنوات 1912-1922، وتربطه بزعماء الحركة الإسلامية في المشرق العربي علاقات حميمة).

وعندما تأسست جمعية العلماء 1931 بالجزائر العاصمة تم تعيين البشير الإبراهيمي نائبا لابن باديس. وكلفه هذا الأخير بالإقامة في مدينة تلمسان، وتنشيط حركة جمعية العلماء ومدارسها بالغرب الجزائري. واستعان كذلك بالشيخ مبارك الميلي(1897-1945) الذي يعتبر بمثابة المفكر الكبير لجمعية العلماء، والذي تم تعيينه أمين مال جمعية العلماء عند إنشائها.بالإضافة إلى مساهمته الكبيرة في إنشاء مدرسة بالعربية في الأغواط والتدريس بها من 1927 إلى غاية 1933، فإن الشيخ مبارك الميلي قد قام بنشر كتابه المشهور تاريخ الجزائر في الماضي والحاضر سنة 1929، وتصدى فيه للفرنسيين الذين كانوا يقولون أن الحضارة الرومانية أثرت في الجزائريين وأن الإسلام جاء بالدين فقط ولم يأت بأية

حضارة.وكان لكتابه الذي نشر الجزء الأول منه 1929 والجزء الثاني 1932 أثر كبير في نفوس الجزائريين الذين أقبلوا على قراءته بشغف. واستفاد أيضا من خدمات الأستاذ أحمد توفيق المدني(1899-1983) الذي يجيد العربية والفرنسية، وتعلم بتونس وساهم في إنشاء حزب الدستور، وعندما قامت فرنسا بإبعاده من تونس إلى الجزائر عام 1925؛استعان به ابن باديس في تحرير جريدة الشهاب، وكان هو المسؤول السياسي فيها وعن التعليقات السياسية التي تكتب بها، وهو الذي أشرف على جريدة البصائر فيما بعد، وأعطاها صبغة جريدة عصرية من النوع الرفيع. وأكثر من ذلك كان للمدني اتصالات مستمرة مع الشيخ شكيب أرسلان زعيم الحركة الإسلامية بالمشرق العربي.واستفادت جمعية العلماء المسلمين ، كذلك من خدمات الطيب العقبي (1888-1960) الذي عاش في المشرق لمدة طويلة، ثم عاد إلى الجزائر، واستقر بمدينة بسكرة، وصار فيما بعد رئيس تحرير جريدة البصائر. واستعان ابن باديس بالشيخ الأمين العمودي في الفترة الممتدة من 1931 إلى غاية 1935، وكلفه بإصدار جريدة الدفاع باللغة الفرنسية، وتبليغ رسالة جمعية العلماء إلى الجزائريين الذين تعذر عليهم تعلم لغتهم العربية. في رأي بعض المفكرين فإن ابن باديس يعتبر شخصية وطنية جزائرية من الدرجة الأولى في النصف الأول من القرن 20، وذلك نظرا لنجاح حركة جمعية العلماء في تقوية العداء للفرنسيين، وخلافا لحزب نجم شمال إفريقيا الذي تأسس خارج البلاد وتمركز نشاطه في فرنسا، فإن جمعية العلماء قد تأسست داخل التراب الجزائري، وأنشأت ما يزيد عن 130 فرع لها داخل البلاد سنة 1937. لكن النجاح الكبير للجمعية كان في بناء المدارس الحرة ونشر أفكارهم في جريدة المنتقد والشهاب، والدفاع باللغة الفرنسية ثم البصائر. ففي نهاية 1936 تمكنت من تأسيس 136 مدرسة حرة في الجزائر، وأخذ الناس عنها فكرة حسنة وانتشر نفوذها في ولايات القطر. ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية صدر مرسوم بتاريخ 27 أوت 1939 يقضي بمصادرة جميع الجرائد التي تتعرض إلى قضايا الأمن الوطني، وبذلك أصيبت صحافة جمعية العلماء بالشلل التام، وتم تجميد نشاطها عن طريق فرض هذه القيود.

وبالرغم من تحديد موقفها السياسي وعدم تقديم مطالب سياسية محددة أو الترشح للانتخابات المحلية فقد كان لجمعية العلماء وزن سياسي لأنها تضم كبار الشخصيات ذات الاتجاه الإسلامي في الجزائر. فإذا كان الشيخ عبد الحميد بن باديس مفكرا إسلاميا كبيرا، فإن الشيخ البشير الإبراهيمي كان مفكرا ثقافيا واجتماعيا، وإذا كان الشيخ مبارك الميلي مؤرخا مرموقا، فإن الأستاذ توفيق المدني كان صحفيا وسياسيا بارعا. ومن خلال العمل المشترك لهذه المجموعة، برزت جمعية العلماء ككتلة سياسية ذات اتجاه ديني، تتلخص أهدافها في الدفاع عن اللغة العربية والإسلام في بلاد الجزائر.

عندما تأسست الجمعية في 05 ماي 1931 بالجزائر العاصمة، برز خلاف كبير بين الشيخ الطيب العقبي الذي قال بأنه رجل سياسي بالدرجة الأولى وسيبقى كذلك حتى يوم قيام الثورة وبين الشيخ عبد الحميد بن باديس عقب المشاحنات السياسية. وما يعكس لنا توجه الجمعية وطابعها الوطني، ذلك الرد المفحم على أحد دعاة الإدماج، فقد

كتب **فرحات عباس** مقال بعنوان **'فرنسا هي أنا'** عام 1936، ومما جاء فيه : (**لو اكتشفت القومية الجزائرية لكنت من القوميين ولما خجلت من ذلك، فالرجال الذين ماتوا من أجل مثلهم الوطنية مكرمون محترمون، ولا تساوي حياتي أكثر من حياتهم، ومع ذلك فلن أموت من من أجل وطن جزائري لأن ذلك الوطن ليس له وجود. ولقد سألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات وزرت المقابر فلم يحدثني أحد عنه، ولا يمكن البناء على الهواء. ولقد استبعدنا جميع الأوهام لنربط نهائيا مستقبلنا بما حققته فرنسا لهذه البلاد**). ولقد تصدت جمعية العلماء لهذه الجماعة وفندت أقوالها ومزاعمها بما كانت تنشره في الصحف آنذاك، ومما جاء على لسان شيخ العلماء **ابن باديس(إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ، وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة مكونة موجودة كما وجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أمة في الدنيا).**

إلا أن الحدث الكبير في تاريخ جمعية العلماء جاء يوم 15 ماي 1936، وذلك حين دعا ابن باديس زعيم فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين ابن جلول إلى عقد مؤتمر إسلامي ومناقشة الإصلاحات السياسية في الجزائر. مثلما طالب ابن باديس في جريدة الدفاع يوم 03 جوان 1936 ب، والذي انعقد بتاريخ 07 جوان 1936. باختصار فإن الجمعية تحولت إلى حزب سياسي هدفها خلق جبهة إسلامية.

برزت قوة جمعية العلماء ككتلة سياسية متماسكة منذ أن قام عبد الحميد بن باديس، يوم 03 جانفي 1936 بدعوة جميع المسلمين في الجزائر إلى مناقشة القانون السياسي للمسلمين الجزائريين، وحسب جريدة الدفاع فإن ابن باديس قد طالب بضرورة مشاركة جميع الأحزاب في مناقشة البرنامج السياسي الجزائري، والخروج بخطة مشتركة حول الموضوع. لكن أهمية الفكرة تظهر لا لاتظهر بصفة ملموسة إلا يوم نجاح الجبهة الشعبية في فرنسا بانتخابات 03 ماي 1936، وتشكيل حكومة يسارية برئاسة ليون بلوم 04 جوان 1936.

استفادت من التغيرات التي حدثت في الجزائر(تعيين الحاكم العام الجديد جورج لوبو 21 سبتمبر 1935مكان كارد)، ومجيء حكومة بيير لافال يوم 07 جوان 1935، فقامت بتدعيم موقفها الإعلامي عن طريق إصدار جريدة البصائر فيفري 1936، عن طريق هذا المولود الإعلامي سوف تتمكن الجمعية من نشر أفكارها التحررية في جميع أنحاء البلاد، وتبليغ الرسالة السياسية والثقافية والإعلامية إلى جميع السكان المسلمين بالجزائر والخارج. وبالرغم من توقف الجريدة عن الصدور غداة قيام الحرب العالمية الثانية فإنها استأنفت صدورها عام 1947 ولم تتوقف عن الصدور إلا بعد قيام حر التحرير في 01 نوفمبر 1954، وانضمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جبهة التحرير عام 1956.

ثُم أن ابن باديس قد واجه مشاكل داخلية وضغوطات متتالية عليه من طرف الشيخ العقبي؛ الذي طلب منه أن يوجه برقية إلى الحكومة الفرنسية يجدد فيها الولاء لفرنسا، وتأييدها في الحرب ضد ألمانيا. لكن عبد الحميد ابن باديس رفض هذا الطلب، وقال له (كيف نكون مع فرنسا مع أنها لم تقم لنا وزنا ولم تعترف لنا بحق، وأمعنت في اهانتنا وإذلالنا واحتقارنا، فكيف تجدنا ساعة الخطر أعوانا وأنصارا؟ يجب علينا أن نسكت ولا نقول لها كلمة). وآنذاك قرر الطيب العقبي أن يستقيل من إدارة الجمعية يوم 26 سبتمبر 1938. كما أن سنة 1938 شهدت انفصال جمعية العلماء عن بن جلول وفرحات عباس. وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، طلب عبد الحميد بن باديس من أعضاء الجمعية البقاء على الحياد، وانتظار النتيجة التي ستسفر عنها الحرب، لكن الإمام عاجلته المنية يوم 16 أفريل 1940. كما عبرت عن رأيها في الاستقلال الجزائر التام، حيث كان ابن باديس يخطط لذلك وكان سيعلن الثورة على فرنسا لو لم توافه المنية سنة 1940.